الباب الخامس

الخاتمة

أ. الخلاصة

لقد ذكر الباحث في الابواب السابقة في صداد هذه الرسالة كل ما يتعلق بطريقة من الطرق في تأليف الكتب في أصول الفقه، واختصر الباحث في هذه الرسالة بطريقتين مشهورتين وهما طريقتا المتكلمين والفقهاء، مع دراسة بعض الكتب فيهما. أما الكتاب الذي جاء الباحث بدراسته وتحليله فهو كتاب المستصفى للامام الغزالي، وكتاب أصول البزدوي للامام فخر الاسلام البزدوي، مع الاتيان بالمقارنة بينهما. وذكر الباحث أيضا مسألة مهمة من مسائل أصول الفقه وهي مسألة القياس، نظرا لأن هذه المسألة هي كمدار البحث في هذه الرسالة، حيث تكون المقارنة خلال هذه القضية.

ففي هذا الباب يمكن للباحث أن يلخّص ما كتبه في هذه الرسالة، فالـــخلاصة كما يلي :

١. إنّ هناك طرق عديدة في تأليف الكتب في اصول الفقه، وهي طريقة المتكلمين، وطريقة الفقهاء، وطريقة الجمع بينهما، لكن أشهر هذه الطريقة هو طريقة المتكلمين وطريقة الفقهاء.

٢. إن مصطلح الكلام أو المتكلمين يستخدم قديما فيما يتعلق بعلم العقيدة والتوحيد، وذلك يقال لمن استعمل التفكير العقلي والفلسفي في الامور الاعتقادية، وقد يصل ذلك إلى نوع من الجدل، حيث يجادل النصوص بالادلة العقلية والبراهن الفلسفية .

٣. ومصطلح المتكلمين يستخدم قديما لمن يستخدمون كثيرا بالتفكير العقلي والادلة العقلية مع البراهن الفلسفية في دراسة النصوص. لكن بعد مرور الزمان مع كثرة الفنون العلمية أصبح هذا المصطلح ليس مخصصا لذلك فحسب، وإنما وقع فيه التوسعة في استخدام هذا المصطلح، فيستخدم لكل فن الذي كثر فيه أمثال هذه الفكرة والمنهج.

٤. سميت طريقة المتكلمين بطريقة الشافعية أوطريقة الجمهور، والسبب في ذلك لأن الامام الشافعي هو أول من ألف كتابا في اصول الفقه سماه " الرسالة "، كتبها على هذه الطريقة.(طريقة أهل الكلام والمتكلمين)، وسميت هذه الطريقة بطريقة الجمهور لأن هذه الطريقة هي الطريقة التي يستخدمها جمهور علماء الأصول في تأليف كتبهم، منهم الامام أحمد بن حنبل، الامام ملك بن أنس، الامام داود الظاهري، الامام أبو الحسن البصري في كتابه العمدة، وإمام الحرمين في كتابه البرهان في أصول الفقه، و القاضي الباقلاني في كتابه التقريب والإرشاد وغير ذلك.

٥. إن مصطلح الفقهاء أصلا يستخدم قديما لمجموعة من العلماء المتخصصين في الفنون الفقهية أو الفقه الاسلامي، وذلك لان الفقهاء كثيرا ما يأتون بالأمثلة الفقهية ليأتوا بعد ذلك إلى إثبات القاعدة الفقهية. ولكن بعد مرور الزمان أصبح هذا المصطلح ليس قاصرا على التسمية لمجموعة من العلماء المتخصصين في الفنون الفقهية أو الفقه الاسلامي فحسب، وإنما يستخدم أيضا كالطريقة في تأليف الكتب، بمعنى أن العلماء حينما ألفوا كتابا وذكروا كثيرا فيه الامثلة الفقهية وما إلى ذلك، فيطلق لهم بأنهم سلكوا منهج الفقهاء. ومعنى طريقة الفقهاء هو القيام على تقرير القواعد

الاصولية على مقتضى ما نقل على الأئمة من فروع فقهية، بمعنى : أن هؤلاء العلماء وضعوا القواعد التي رأوا أن أئمتهم لاحظوها في اجتهاداتهم ، واستنباطهم، للأحكام، على ضوءما ورد عنهم من فروع فقهية، وقد اشتهر علماء الحنفية باتباع هذا المسلك حتى عرفت بطريقة الحنفية.

٦. ولد الامام الغزالي في سنة ٤٥٠ هـ بقرية غزالة من قرى طوس، وهو من أسرة فقيرة، وكان أبوه يعمل بغزل الصوف، وكان رجلا صالحا محبا للعلم واهله ومجالسة العلماء. ولقِب الغزالي بألقاب كثيرة، منها "الشافعي الثاني"، ومنها "حجة الدين"، "وزين الدين"، "ورباني الامة"، و"المجدد الخامس في تاريخ الاسلام"، وحجّة الاسلام، وهذا اللقب الأخير هو الذي شاع وذاع عند أهل العلم حتى غلب على الالقاب الأخرى.

٧. ومن مصنفات الامام الغزالي هو كتاب المستصفى، هذا الكتاب كتب على منهج المتكلمين، وهو من أحسن الكتب التي كتبت على هذه الطريقة بعد كتاب " البرهان" لأمام الحرمين، و " العهد" لعبد الجبار، و " المعتمد" لأبي الحسن البصري.

٨. . ولد الامام البزدوي في سمرقند في سنة ٤٠٠ هـ ، وتوفي في سنة ٤٨٢ هـ ، وكانت نسبته إلى " بزدة " قلعة بقرب نسف. والامام البزدوي من علماء الحنفية، له مؤلفات عديدة، ومن أشهر مصنفاته في اصول الفقه هو الكتاب أصول البزدوي. كتب هذا الكتاب على منهج الفقهاء، وقام بشرحه العلماء بعده، منهم الشيخ أبي المكارم أحمد بن حسن الجاربردي الشافعي المتوفى سنة ٧٤٦ هـ، وكذلك الشيخ: قوام الدين الأتراري الحنفي. المتوفى: في حدود سنة ٧٠٠ هـ.

٩. والامور التي فرقت بين كتاب المستصفى وأصول البزدوي في قضية القياس هي راجعة إلى القضايا الآتية :

١) المنهج الكتابي أو المنهج التأليف

٢) المصطلحات الأصولية

٣) شروط القياس

٤) القياس مع الاستحسان

٥) قياس الشبه

٦) الاجتهاد في العلل.

والامور التي تساوي بين الامام الغزالي والامام البزدوي في قضية القياس:

١). أركان القياس.

٢).كون العلة مؤثرة.

والجمع بين هتين طريقتين في هذين كتابين:

١).الامام الغزالي والامام البزدوي في كتابيهما مع اختلاف طريقتيهما في كتابة الكتاب في أصول الفقه إنهما متفقان بإثبات القياس وحجيته، واتفقا بأن القياس حجة يحتج بها.

٢). الامام الغزالي والامام البزدوي يتفقان في قضية الأركان للقياس.

٣). اختلاف طرق الأصوليين في تأليف كتب أصول الفقه ليس معنى ذلك طرد واحدة عن الأخر، أو عدم النظر إلى واحدة دون الأخرى ولكن كل هذه الطرق على سبيل التكامل، فلا ينبغي لطالب علم شرعي يميل إلى واحدة ولا ينظر إلى غيرها، قد لم يجد معلومة أصولية في واحدة ولكنه وجد في غيرها وهكذا العكس، وعلى هذا رأى

الباحث بأن كلتي طريقتين إنهما لهما موقف كبير ودور مهمّ في تنمية أصول الفقه ولكن على طريقة مختلفة والغرض واحد وهو تنمية الملكة العلمية الأصولية.

ب. التوصيات والاقتراحات

إنه من المعروف أن علم أصول الفقه هو علم جليل القدر وعظيم الشأن، ولذلك قال محقق أصول السرخسي في مقدمته فقال: "إن علم الاصول من أشرف العلوم وأنفعها، حيث يتعرف به طرق استنباط الاحكام العملية من أدلتها التفصيلية على صعوبة مداركها، ودقة مسالكها، فمن ألم به يكون ملما بمدارك المجتهدين". (السرخسي، ١٤١٤ هـــ، ص : ٣).

وعلم أصول الفقه له دور كبير وموقف عظيم في الشريعة الاسلامية، وذلك لانها كالوسيلة في استنباط الاحكام، به نعرف القواعد الاصولية، وبه نعرف كيف يستنبط الاصوليون الاحكام.

نظرا إلى النتائج التي طرحها الباحث في هذه الرسالة، يودّ الباحث أن يعرض ويوجه بعض الاقتراحات أوالتوصيات التي يراها الباحث مهمة لدى المجتمع الاسلامي على وجه العموم، ولطالب العلم الشرعي على وجه الخصوص، ليعم النفع على الجميع ويزيـــدهم ملكة علمية وثروة فكرية حتى يكون لهم دور كبير في خدمة المجتمع والامة الاسلامية.

١) ينبغي لطالب العلم الشرعي أن يتوسع ويتبحر في دراسة العلوم الشرعية وعلى وجه الخصوص علم أصول الفقه، ويكون ذلك بقراءة الكتب الاصولية والكتب الفقهية، وكذلك البحوث العلمية التي لها علاقة له، لأن دراسته تزيد الملكة الفقهية، ويوسع الآفاق النظرية، حتى لا تكون النظر إلى مذهب معين فحسب، فيؤدي ذلك إلى التعصب المذهبي.

٢) الذي أراد أن يتبحر ويتوسع في علم أصول الفقه، فلا يسع له جهالة ما يتعلق بعلم اصول الفقه، ومنه طريقة تأليف الكتب في اصول الفقه (طريقة المتكلمين والفقهاء)، فهاهو كتاب المستصفى للامام الغزالي الذي كتب على طريقة المتكلمين إنه كتاب عظيم النفع وجميل الاسلوب، فقراءته حسن، ودراسته جميل والتبحر فيه خير كثير.

٣) الغوص في دراسة الكتب في اصول الفقه (طريقة المتكلمين) يزيد الملكة الاصولية والفقهية، ويوسع الآفاق النظرية في الفقه الاسلامي، لأن الكتب التي كتبت على هذه الطريقة لا يتمسك على مذهب واحد ولا على فكرة معينة، وإنما ذكرت فيها أقوال العلماء مع أدلتهم ووجهة نظرهم في الادلة. فيؤدي ذلك على عدم التعصب في المذهب المعين.

٤) إضافة إلى ما ذكره الباحث سابقا، فينبغي لطالب العلم الشرعي أيضا قراءة الكتب في أصول الفقه على طريقة الفقهاء، حتى يكون لديه معلومات كثيرة في علم أصول الفقه في سائر طرقه.

ت.الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الخلق المبعوث رحمة للعالمين وعلى أله وصحبه ومن سار على طريقه إلى يوم الدين أما بعد:

فقد تم وأنهى الباحث كتابة هذه الرسالة المتواضعة، ولا يكون ذلك إلا بعون الله وجوده وكرمه، فيرجو الباحث أنه قد أتى بشيئ جديد وبما يستفيده الجميع. كما يرجو أن تكون هذه الرسالة من ضمن الرسائل العلمية التي يستفيد منه كل قارئ، وطالب علم شرعي.

فلا ريب بأن الانسان محل الخطأ والنسيان، فلا يسمى انسانا إلا لنسيانه، فقد قال الامام المزني – رحمه الله– بعد أن قرأ كتاب "الرسالة" للامام الشافعي، " قرأت كتاب الرسالة على الشافعي ثمانين مرة فما من مرة إلا وكنا نقف على خطإ".(علاء الدين البخاري، بدون السنة، ص : ٤). فما هذه الرسالة إلا رسالة صغيرة كتبها طالب صغير فقير أراد أن يدرس ويتعلم و يتبحر ويتوسع في علم أصول الفقه، فمن الطبع أن هذه الرسالة لا تخلو من الخلل والخطأ والنقصان، فلا يرجو الباحث من كل قارئي هذه الرسالة إلا التصحيح والإرشاد. والله تعالى أعلى وأعلم. وانتهى.